**المحاضرة الثالثة : الله و التاريخ القديس أوغسطين**

1 -التعريف بالقديس أوغسطين :

أوغسطين هو فيلسوف مسيحي و أحد كبار الكنيسة الكاثوليكية , ولد في طاغست

و هي اليوم ماتعرف اليوم بسوق أهراس في شرق الجزائر في 13 نوفمبر 354 م

و توفي سنة 430 م ب هبون اسمها اليوم عنابة . درس أوغسطين النحو و الفنون

الحرة في قرطاجة كما اشتغل بالتدريس و كان معلما للخطابة في مدينة ميلانو كما

ألف عدة كتب منها مدينة الله , الإعترافات .

- 2 التفسير التاريخي لنظرية العناية الإلهية :

لقد توجهت المسيحية نحو تفسير يقرر بأن العناية الإلهية هي التي تتحكم في

المسار التاريخي و الأفعال البشرية , فكان التاريخ مجرد سرد للخوارق و كرامات

القدسيين و معجزاتهم , لقد لجأ المسيحيون لإضفاء صفة العناية الإلهية على من

هم مسيحيون لتبرير أفعالهم ,و هذا ما ورد في مؤلف القديس أوغسطين “مدينة

الله” حيث يقول” التاريخ مسرحية ألفها الله و يمثلها الإنسان” هذا القول يوضح

أن الوقائع التاريخية مسرحية من تخطيط المشيئة الإلهية التي وضعت غاية

للتاريخ انطلاقا من فهمها للإنسان و علاقته بالله على أساس جوهر الفكرة

المسيحية الخطيئة و الخلاص .

تقوم فلسفة التاريخ عند أوغسطين على أن العالم منذ أن خلقه الله و هو في صراع

بين نوعين من الحب حب الإنسان لله ,و حب الإنسان لنفسه , لهذا انقسمت المدينة

إلى مدينتين مدينة أرضية, و مدينة سماوية ,وانقسم التاريخ إلى تاريخ دنيوي و

تاريخ مقدس , في نظر أوغسطين حب الذات لحد احتقار الله صنع المدينة

الأرضية, وحب الله لحد احتقار الذات صنع المدينة السماوية .

يرى القديس أوغسطين أن التاريخ يدور حول كل من المؤقت و الأبدي و الله هو

الأبدي و هو خالق الكون و الزمن فالله موجود في كل زمان ومن ثم فإن عنايته

حالة من التاريخ الإنساني كما هي حالة في الكون كله و شؤون تاريخ الأراضي

يتولاها الله الواحد وهو يحكمها و يسيرها كما يشاء ,ولقد شبه أوغسطين المدينة

الأرضية بالإمبراطورية الرومانية و إثر هذا مهد لظهور نظرية تدافع عن

المسيحية بإعتبارها المثل الأعلى للدولة .

لقد رأى القديس أوغسطين أن هناك نزعتين و هما "نزعة حب الذات إلى حد

الاستهانة بالله و نزعة حب الله إلى حد الاستهانة بالذات, كما أن في المجتمع

مدينتين : المدينة الأرضية و المدنية السماوية, الأولى تعمل على نشر الظلم و

تجاهد الثانية في سبيل العدالة ,حيث تميزت المدينة السماوية فأصبحت ممثلة في

بني إسرائيل أما المدينة الأرضية هي سائر الحضارات الأخرى التي مهدت

لظهور السيد المسيح ’ إذ مهدت له إسرائيل روحيا و مهدت له الحضارة القديمة

سياسيا وفقا لتدبير من العناية الإلهية .

يجب أن تتم « لقد أوضح أوغسطين أهمية الارتباط بين الدين والسياسة حيث قال

الوحدة بين الجانب الروحي ممثل في الكنسية و بين الجانب السياسي ممثل في

الدولة و أنه لما كانت الدولة تسعى إلى الخبرات المادية الدنيوية بينما تجعلها

الكنيسة وسيلة لغاية روحية أسمى فإنه يجب أن تخضع الدولة للكنيسة حتى تحقق

سعادة الدنيا و سعادة الأخرة و تمكن الدولة الكنيسة من تحقيق أغراضها وذلك

من خلال القانون الإلهي الذي بذاته يضمن العدالة في مدينة الله .

3 - منهج أوغسطين في دراسة الأحداث التاريخية :

إن الوصول إلى الكشف عن أي حدث تاريخي و استخراج معناه الحقيقي لابد و

أن يقوم على مجموعة من الخطوات ,فأوغسطين بدوره وضع خطوات من شأنها

أن نصل من خلالها إلى دراسة الأحداث التاريخية دراسة دقيقة و هي كالتالي :

أولا : سد الثغرات التاريخية : حاول أوغسطين أن يكشف عن مختلف الثغرات

الموجودة في الكتاب المقدس , و أول ثغرة صادفها في دراسته هي بخصوص

أبناء أدم حيث أن الكتاب المقدس لم يذكر سوى قابيل و هابيل فهذا غير مقبول

عند أوغسطين لأن العقل لا يمكن أن يقبل مثل هذا التصور إن الثغرة المتعلقة

بأبناء أدم يبررها بأن الكتاب المقدس لم يكن يعنيه حصر كل ذرية أدم بل كان

يعنيه وحسب بأن ذرية أدم التي تنتهي في تسلسلها إلى إبراهيم أبي الأنبياء .

في هذه الخطوة يبين لنا أوغسطين بأن الكتاب المقدس حتى و إن وجدت فيه

ثغرات يجب على المؤرخ أو الباحث أن يحاول تغطية الخطأ أو تلك الثغرة التي

واجهها .

ثانيا :إعادة ترتيب الأحداث :

من خلال هذه الخطوة سعى أوغسطين للكشف لنا بأن الكتاب المقدس لم يلتزم

بسرد الأحداث التاريخية بشكل متسلسل , الامر الذي دعى إلى ضرورة بذل جهد

من طرف المؤرخ في إعادة الترتيب للأحداث و يرجع إلى سياقها الأصلي و ذلك

بإعادة كتابة التاريخ .

ثالثا :النقد التاريخي : أوغسطين لم ينقد الكتاب المقدس نقدا ليس فيه رجوع فهو

يرفض بعض الروايات في هذا الكتاب و ذلك لعدم اتفاقها مع المنطق ومعارضة

للعقل حيث حاول أن يضع لها تبريرات من أجل المحافظة على قيمة الكتاب

المقدس و الانتقال به من اللامعقول إلى المعقول وذلك بإبراز الحجج بحيث تكون

هذه الأخيرة في صالح الكتاب المقدس .

رابعا :تأويل الأحداث :

أن هذا المنهج هو الأفضل عند أوغسطين ,فهو يمثل أقوى خطوة عن الخطوات

السابقة ,فبفضل هذا المنهج نصل إلى الحقيقة الباطنية وذلك من خلال اعتماده

على التفسير الرمزي بحيث أنه قدم مبادئ واضحة للتمييز بين نوعين من التفسير

الظاهري والمعنى الباطني , إلا أن أوغسطين يقول بالتفسير الباطني فالقارئ

عندما يحاول كشف معاني الكتاب المقدس أو حتى أي كتاب أخر , فهو عندئذ

يقف عند المعاني و الأحداث في اعتقاده أنها بدون فائدة ولا تؤدي لنفع عند

اطلاعنا عليها وذلك ناتج من قراءته الحرفية و تفسيره الحرفي الظاهر لها , و

ذلك ما يؤدي إلى الحكم على انها بدون فائدة ويقول بأننا علينا ان نتجنب تفسيرها

الحرفي ,وذلك من خلال فحص معناها الداخلي و الكشف عن ملامحه الخفية ففهم

الحدث في بدايته و في باطنه يعطي لنا فهما أكثر عمقا من الفهم الخارجي .